التوجيه الدلالي في الحكاية العربية بين المقصدية والتأويل: "نموذج من المستطرف"

The semantic orientation in the Arabic story between intention and interpretation: "A model of almustatraf ".

د. عطوي محمد الهادي
(جامعة باجي مختـار –عنـابة)
Email : m.attoui@yahoo.com

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 16 2018 ص ص 397 – 422.

الملخص

نعالج في هذه الدراسة التطبيقية موضوع التوجيه الدلالي في تحليل الخطاب، هذا الموضوع الذي يتعلّق بمعاينة الوجوه الدلالية المتغايرة والثابتة في الخطاب، لا سيّ ما في السياق الثقافي والسيميائي، خاصة إذا عرفنا أنّه موّجه إلى متلق خاص، وهو محلّل الخطاب الذي يبحث عن الدلالات الأعمق في الفهم، والأقرب قبولا وإقناعا. ولذلك فتأويل رمزية الدلالة هو سبيل لفهم واقعيتها وإيحاءاتها عبر مراجعها التناصية، ورموزها من خلال السياقات النصية وخارج نصية؛ بغية تحليل جيّ د للخطاب؛ لفهم أفعال المتكلّم وتأويلها.

ومن أجل ذلك نحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل الخطاب مقاصد مشتركة الفهم بين المتحاورين أم أنّ الوصول إلى الغرض يتحقق بالفهم والتأويل؟ وهل ما يفهمه المتلقي العادي هو ما يفهمه ويصل إليه محلّل الخطاب؟ وكيف يمكننا تعيين دلالة ما يقوله المتكلّم و ما يدّعيه المحلّلون المتأولون؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا البحث؛ لتبيين خصائص التوجيه الدلالي فيه ، ولتمثّل كيفيات تشكّل الدلالات تصوّرا، وتكيّ فا وتأوّلا.

الكلمات المفتاحية: التلقي الدلالي، الدلالة التعيينيّ ة، التحوّل الدلالي، الرمزيّ

Abstract

In this study, we discuss the subject of "semantic orientation" in discourse analysis. It examines Variable Meanings and fixed faces in the cultural and semiotics context especially when addressed to a particular receiver, who is the discourse analyst. This latter searches for deeper connotations in understanding, acceptance and persuasion. Therefore, the interpretation of the symbolic meaning is a way to understand the reality and its implications which are interpreted through its intertextual references and its symbol of textual and extra textual contexts. The analyst in this context looks for a deep analysis of the discourse in order to understand the acts of the speaker and interpretation. To illustrate the characteristics of semantic orientation, and to represent the modalities that form the meaning of perception, adaptation and interpretation, three main quests this research seeks to answer: is the speech a common goal of understanding between the interlocutors, or is reaching the intention achieved by understanding and interpretation? is the ordinary recipient understands what the discourse analyst understands and reaches? And how can we define the meaning of what the speaker says and what the analysts say?

Key words : *semantic reception ; designated meaning ; semantic transformation ; symbolism".*

المنارة للاستشارات

اخترت هذه الحكاية (الأبشيهي،2003، ص80-81)؛ لدراسة متغيّراتها الدلالية، وكيفية اعتمالها عبر النظاماللغوي والدلالي النشيط، ذلك أنّ تقبّل هذه الدلالات يبقى صعبا؛ لأنّه يبقى دائما بحاجة إلى التكيّف مع قصد المتكلّم، ويسعى في الوقت نفسه إلى تكوين دلالي مناسب، يكشف عن قيمة التشكيل فيه تعيينا ظاهرا غير مرهق، وتأويلا يساير قدرة الوعي والإدراك والفهم الجيّد. وليكون المتلقي في سياق الموضوع نعرض عليه القصّة:

"حكي أنّ "هند" ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها، فوُصف للحجّاج حسنُها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل لها مالا جزيلاً، وتزّوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، ودخل بها. ثمَّ إنّها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعّرة، وكانت هند فصيحة أديبة، فأقام بها الحّجاج بالمعّرة مدّة طويلة، ثمَّ إنَّ الحجَّاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله، ثمَّ دخل عليها في بعض الأيَّام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هندُ إلاّ مُهرةٌ عربيّةٌ   سليلةُ أفراسٍ تحلّلها بغلُ
فإنْ ولدتْ فحلاً فلله درُّها   وإنْ ولدتْ بغلاً فجاء به البغلُ

فانصرف الحجَّاج راجعا ولم يدخلْ عليها، ولم تكن علمت به. فأراد الحّجاج طلاقها فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر، وأنفذ لها معه مائتي درهم، وهي التي كانت لها عليه. وقال : يا ابن طاهر طلّقها بكلمتين ولا تزد عليهما. فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها: يقول لك أبو محمد الحجاج: "كُنْتِ فَبِنْتِ"، وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله. فقالت: اعلم يا ابن طاهر، إنَّا واللهِ كنَّا فما حمدنا، وبنَّا فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف. ثمَّ بعد ذلك بلغ أميرَ المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرُها ووُصف جمالها، فأرسل إليها يخطبها، فأرسلت إليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه: "اعلم أمير المؤمنين أنَّ الإناء ولغ فيه الكلب". فلمَّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها، وكتب إليها يقول: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فلْيغْسله سبْعا، إحداهنَّ بالتراب، فاغسلي الإناء يحلّ

المنارة للاستشارات

الاستعمال". فلمَّا قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين، والله لا أحّل العقد إلاّ بشرط ، فإن قلت: ماهو الشرط؟ قلت: أن يقود الحجَّاج محملي من المعرَّة إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أّولا. فلمَّا قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا، وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك. فلمَّا قرأ الحجَّاج رسالة أمير المؤمنين أجاب، وامتثل الأمر ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجّهز، فتجهَّزت وسار الحجَّاج في موكبه حتَّى وصل المعرَّة بلد هند. فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجَّاج بزمام البعير يقوده ويسير بها، فجعلت هند تتواغد عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثمَّ إنَّها قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المحمل. فكشفته، فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه، فأنشأ يقول:

فَإِنْ تضْحكي مِنِّي فِي طُولِ لَيْلَةٍ تَركْ تكِ فيها كالقَباءِ المُفَرَّجِ

فأجابته "هندٌ" وهي تقول:

وما نُبَالي إذا أرواحنا سلمتْ بما فقدناهُ منْ مال ومن نَشَبِ
فالمالُ مكتَسَبٌ والعزُّ مرتَجَعٌ إذا النُّفوسُ وقَاها اللهُ منْ عَطَبِ

ولم تَزلْ كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض، ونادت : يا جمَّال إنَّه قد سقط منَّا درهما فارفعه إلينا، فنظر الحجَّاج إلى الأرض فلم يجد إلاَّ دينارا، فقال: إنَّما هو دينار، فقالت : بل هو درهم، قال: بل دينار، فقالت: الحمد لله سقط منَّا درهم، فعوَّضنا الله دينارا، فخجل الحجَّاج وسكت، ولم يرّد جواباً، ثمَّ دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزّوج بها، وكان من أمرها ما كان".

المنارة للاستشارات

تمهيد:

نشير أنّ الخطاب ينفتح بالتأويل على كثير من الدلالات تتنامى بشكل تصاعدي وديناميّ، وهذا ما تنتجه طبيعة المدّونة السردية التي تتميّز بتسلسلها المنطقي في بناء الأحداث وتطّورها، فهي تقع في مفاصل كبرى تشكّل مراحل الخطاب الأساسة .وفي خضّم هذه المراحل النصيّة يفعل "الرمزيّ" فعله في التكثيف الدلالي والسنن العلاماتي (و الرمزيّ: تقنية مشفّرة يتعارف عليها المتحاورون الذين هم من إيديولوجية موّحدة، تقوم على تمثيل المتصّورات بالرموز تمثيلا حسيّا معنويا) .ثمَّ إنَّ الفحص التأويلي يسري بنا ويعرج في ربوع الخطاب وفضاءاته؛ لوصف عمليات التحّول في العلاقات النصيّة وخارج النصيّة؛ لمعرفة السعة الدلالية التي يمكن أن ينفتح عليها النص، خاصة بعد الرمز الذي تنشأ عنه البِنيات التصّورية لتمثّل دلالات الخطاب في الفهم الأوّلي، أو التأويلي.

أولا- تمفصل الخطاب وتشكّل أحداثه :

1 – **التمفصل الأوّل:** تشمل هذه المرحلة **المشّوقة** الوصف الانفعالي التأثيري في بناء الأحداث وتوجيهها.

2 – **التمفصل الثاني:** مرحلة بداية الصراع ، والتحّول النفسي والذهني القائم على الرمز والقياس والمجاز.

3 – **التمفصل الثالث:** وهي مرحلة ردود أفعال المتحاورين، تمثّل الدلالة بالتمثيل الرمزي.

4- **التمفصل الرابع:** طبيعة النهاية، حيث معرض الدلالة بين الفهم والوهم. والحيلة والاحتيال.

أ- الانفتاح الدلالي:

نعالج مسألة الانفتاح الدلالي من خلال التمفصلات التي بادرنا بذكرها، حفاظا على البناء الزمني والمنطقي لأحداث القصّة ، وبالتالي تجلية مراحل الخطاب

المنارة للاستشارات

النصية للوصول إلى القيم الدلالية والتداولية المبنية على التجاوز والتوالد ، والتي قد تسفر عن جملة الاستفزازات السلوكية والأسلوبية، وهي التي تستوقف المتلقّي في تحليله وتأويله في محطّات التواصل الثقافي، والسيميائي، والتاريخي عبر موسوعة المراجع المشتركة.

تبدأ القصة بسرد أحداث تخترقها فجوات زمنية مجهولة، هذه المرحلة التمهيدية تؤشر إلى الوضع الطبيعي المنتج في عالم النص، لتسّهل فاعلية الاندماج السريع مع الوقائع، وتمثُّل العالم الواقعي، وتأويل – على القدر الممكن والمهيمن – الفرضيات الدلالية بشكل تدريجي توافقي قد يوحي بوجود منافرات، أو مفارقات، وهو ما قد يغري بحتمية الفهم والتأويل، والوعي والإدراك النسبي.

التمفصل الأول: الوصف التمهيدي: يتحدّد في قول الراوي:

- حُكي أنّ "هند ابنة النعمان" كانت أحسن أهل زمانها
- فُصف للحجَّاج حسنُها،
- فأنفذ إليها يخطبها
- وبذل لها مالا جزيلاً ، وتزّوج بها.
- شرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، ودخل بها
- كانت هند فصيحة أديبة
- أقام بها الحجاج في المعّرة مدّة طويلة، ثم رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله.

هذه المفاصل النصّية علامات كامنة في الخطاب قابلة للتوالد والتفجير، فهي توحي بقابلية استنطاق النص واستنباط ما لم يُقْله وفق القرائن النصية التي تُؤشّر ، مثلا، على وجود علاقة غير حميمة بين "هند" و"الحجاج"؛ لأنّ العلاقة بينهما لم تكن تفاعلية تواصلية يربطها الوّد والرحمة، بل كانت قائمة على الإعجاب والتفاعل النفسي، والبيّنةُ على ذلك الا ّدعاء الأوّلي أنّ الحجاج وصف له حسن المرأة وجمالها،

المنارة للاستشارات

فأنفذ إليها من يخطبها دون أن يراها، فأجزل لها المال الوفير، فتّم الأمر. هذه البداية تنفتح فيها الدلالات على المتلقي؛ ليتصّور ما شاء من المعاني التي قد تدور في خلده، فـ "هند" الجميلة تفّردت عن نساء عصرها حسنا وجمالا وفصاحة، فاختارها "**الحجّاج** زوجا له بعد أن بذل لها المال؛ وتزّوج منها، وعاش معها زمنا طويلا، ومِنْ ثَمَّ فالمتلقي ينتظر **المخبوء** بعد هذا الوصف، أّي ما الذي ستقّدمه هذه المؤشرات النصية؟ هذا المرتقب قد يشكّل " **دلالة تصّورية**"(محمد غاليم، 2007، ص33). أي: التصور الذي يساعده على فهم المتواري من المعنى، فتتحّدد به منزلة المعنى وتمثّل له صوريا في مستوى البنية التصورية التي تعمل على تمثيل معرفي يقوم عليه الفكر لدى الإنسان.

حيث التركيز على الاستنتاج والإدراك في كثير من المواقف المثيرة التي قد تتصّف بها هند" أو "الحّجاج" في أي لحظة من اللحظات بطريقة متوقّعة أو غير متوقّعة، ثمّ إنّ "**هندا**" أقامت مع زوجها طويلا، وهذا أحد الأدلّة الأخرى التي قد تكشف ظنونا كثيرة في الخطاب بقصد أو بغير قصد.

التمفصل الثاني: ميلاد الأزمة (الصراع):

يبدأ التطّور التدريجي في أحداث لخطاب بعد البيان التمهيدي، حيث يُضرب الاستقرار النفسي، ويتزعزع التواصل بين أطراف المتحاورين، و يتجلى الدخول في دائرة الصراع عبر هذه الصورة التعبيرية المؤثرة والمستفّزة في الوقت نفسه : ثمَّ دخل عليها – يقصد الحجاج– في بعض الأيَّام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هندُ إلاَّ مُهرةٌ عربيَّةٌ سليلةَ أفراسٍ تحلَّلها بغلُ
فإنْ ولدتْ فحلاً فللَّه درُّها وإنْ ولدتْ بغلاً فجاءَ به البغلُ

تحيل هذه البنية التصّورية في هذا المقام إلى طبيعة العلاقة المتوتريْن الزوجين، ولعلّ أشّدها عند "هند" ، إنّه "الندم" على هذ الزواج، إنّ ما تلّفظت به "هند" كان مضمرا في أعماق نفسها، هذا المسكوت لم يفضحه إلاّ ذلك الشعور الرهيب أمام المرآة التي عكست كّل الخبايا التي كانت تعتمل في نفس "هند"، ومن ثمّ فالقدرة

التصّورية لدى المتلقّي قد تقوده إلى فهم نسق تمثيلي من خلال وعي هذا النفور وإدراكه وفق ما يؤشّر به السياق:

ب– التحّول الدلالي:

إنّ الفجوات الزمنية المسكوت عنها تمثّل نقلة نوعيّة في الخطاب السردي عبر التحّولات النصية؛ لأنّ الواقع يظلّ مخبوءا، والذي يحضر هو العالم النصي الذي اختصر العلاقة بين "هند" و"الحجاج"، ولم يصف حقيقتها، ولكنّه يريد أن يقولها بطريقة أخرى ، ويشغل المتلقي بالتحقيق بوساطة أسئلة الفهم التأويلي؛ وخاصة ببلوغ البيتين. هذا التمثيل الرمزي تأرجح بين **لازم معنى التعالي** عند "هند" و**ملزوم معنى التدنّي** "للحجاج"، ولا يكون حاصل ذلك إلاّ باستحضار المراجع والسياقات؛ لتحديد العلامات وتفكيك شفرات الكلام، فالتمثيل الرمزي"المهرة والبغل والفحل" تجاوز العلامة الأصلية وأدخله في النموذج الرمزي الجماعي، ذلك لأنّه يشترط "المعرفة المشتركة

لضمان نجاح الاتّصال"(عبد السلام عشير، 2006، ص41)؛ لأنّه لو كان بعيدا عن المواضعة لَغابَ الفهم وتلاشى التواصل بين المتحاورين. فقد تحّول "الحَجّاجُ" الَبْغل إلى "بَغْل"، ومولوده المنتظر "الفحل أو البغل"، هذا الحدث الرمزي غُذّي بالمفارقات والتقابلات، وجعل حاصل المعنى منعكسا على ردود أفعال "الحجاج"، فنتجت عنه التمفصلات الآتية:

- فانصرف الحجَّاج راجعا ولم يدخل عليها(وهذا هو الغضب)
- فأراد الحّجاج طلاقها فأنفذ إليها رسولا (عبد الله بن طاهر)
- طلقها بكلمتين (كنت فبنت)، المرجع.
- وأنفذ لها معه مائتي درهم (دفع صداقها) إهانة هند.

إنّ انفعال "الحجاج" حجّة على تأثّره بكلام "هند"، وقد تشكّلت هذه المناورة الخطابية في بعد التمثّل القياسي في مستوى الترميز، التمثيل الذي تمّ عبره تجاوز

المنارة للاستشارات

الدلالة الطبيعية إلى دلالة أكثر فاعلية وتأثير، فالطابع التأويلي عند "الحجاج" جعله يقف عند العناصر الضرورية بفضل ما يملكه من قدرة تصّورية سمحت له بوعي الدلالة الخفية للخطاب، حتّى أدرك القصد، أو ما يعرف "**بالمقصدية**". وهي دلالة تستدعي الانتقال من مستوى الإخبار إلى مستوى التمثيل حينما نتجاوز الدلالة الطبيعية إلى الدلالة غير الطبيعية بالبحث في المرتكزات الخطابية والسياقية، والطابع التأويلي لهذا المستوى يفرض آليات مغايرة، ومقاربة دقيقة للوقوف عند العناصر الضرورية التي تسمح بتجلية الدلالة الخفية للخطاب (سعيد جبار، 2013، ص135).وهذا دليل على ما تفعله اللغة من انفعال وردود أفعال تعكس الحقيقة النفسية المثيرة. أما توجيه ردّة فعل "**هند**" في جوابها: "إنَّا والله كنَّا فما حمدنا، وبنَّا فما ندمنا" فيبيّن بحقّ أن الحبل بينهما لم يكن متينا، بل عاشت ولم تعرف له فضلا ولا منزلة ، حتّى إذا سمعت كلمتي الطلاق حمدت وما ندمت، ثمّ تمنح صداقها للرسول الذي أتى لها بالبشارة – كما وصفتها – وهي علامة إضافية على ما كان بينهما من نفور متواصل، وقد تخلّصت منه والغيظ يملأ قلبها حتى دعته بكلب بني ثقيف، وفي ذلك احتقار للرجل، وهو، أيضا، لم ينشأ من فراغ. هنا بدأت **الأزمة النصية** للخطاب بوجود المنافرات والتقابلات النصية والنفسية التي تعكس نقائض الذات، وهذا دليل على ميلاد أزمات أخرى أكثر حدّة وتعصّبا. هذا التحّول الدلالي ولد بفضل الصياغة الرمزية المستمدّة من اللغة ومن حياة الإنسان ليقدّم إيحاءات جديدة، وأنّ غاية التأويل هي تحرير المعنى، أي: الانعتاق الدلالي، وتخليص الحقيقة من الوهم واللبس.

المنارة للاستشارات

التمفصل الثالث: المخزون الدلالي الموسوعي:

أي المراجع التاريخية، والثقافية، والاجتماعية التي ينهل منها المتحاورون مادة أفكارهم، ويعملون على تحيينها وفق الطرائق العقلية الراهنة بما تستجيب له لحظة التلقي ومقاصد الدلالة.

جـ- تداخل الخطابات:

تتيح هذه التقنية للراوي إمكانية تغيير وتيرة السرد حتّى لا يمّل السامع أو القارئ (محمد بارّي، 2013، ص376) ، لما يتضّمنه من قدرة على البيان والتشويق؛ لأنّ ما يميّز هذا الخطاب التعدّد البنوي الذي تتداخل فيه أجناس أخرى كالشعر والحديث. إنّ هذا التعدّد الخطابي يؤشر على وجود وظائف نصيّة جديدة في عالم النصّ؛ وهو بالضرورة سينفتح على سياقات متغيّرة وغير مستقّرة، وهو ما يجبرنا على التأويل النصي المرتبط بالزمن ، والمعرفة والاستعمال ؛ لتحقيق الفهم من خلال إستراتيجية التأويل عبر الشروط اللسانية والتداولية. هذه الإرغامات اللسانية والثقافية للنص تقابلها معرفة موسوعية للقارئ؛ لأنّ تأّلويل يخضع لاستراتيجيات نصيّة وقراءات واعية (محمد بوعّزة، 2011، ص57) . فلا نكتفي بمهّمة الذات العارفة، بل لا بدّ أن تكون مؤّولة؛ لأنّ الذات العارفة هي التي تستقبل المعرفة بالتحصيل، وتفهمها من طريق العادة والاسترجاع. أّما الذات المؤّولة فهي الذات المفكّرة فيما تعرف. (عمارة ناصر، 2007، ص15) من الخطاب ومراجعه.

1-1 – الخطاب الشعري:

للشعر لغة خاصة تتميّز من لغة النثر وغيره، لعلّه يضمن الجانب التأثيري الانفعالي الذي يشمل اللذّة والإمتاع إلى ردود أفعال أخرى مؤثّرة في سلوك المتلّقي واستجابته في التلّقي.

المنارة للاستشارات

1-1-1- الرمزيّ في لغة الشعر:

يتعلّق الرمز في الحكاية بالمواقف الحاسمة، فهو لا يشيع على النصّ، بل يظهر في مواضع انتقال دلالي مهّم وقد ارتبط بالخطاب الشعري تارة، والنثر تارة أخرى حسب المراجع المنتقاة للتعبير عن الدلالة الحاسمة، فهو يختصّ بلغة الشعر التي "تثير وتحّرك وتفاجئ وتدهش وتهّز الأعماق"(أحمد محمد معتوق، 2006، ص 143)؛ وأعذب الخطابات الشعرية ما قام منها على المجاوزة في أصل الوضع بخلق عرف لغوي جديد؛ لأنّ لغة الشعر إيحائية رمزية تبتعد بالمعنى بغير حدّ، هذا البعد الممتد يوقعه في الاتّساع، كونه حمّالَ وجوه في المعنى، ويتمثّل ذلك في بيتي هند:

وَما هِنْدُ إِلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ   سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ
فَإِنْ وَلَدَتْ فَحْلاً فَلِلَّهِ دَرُّهَا   وَإِنْ وَلَدَتْ بَغْلاً فَجَاءَ بِهِ البَغْلُ

إنّ الحوار الذي جرى بين هند ونفسها، هو صوت ضميرها وليس حوارا تفاعيا مع الآخر؛ فهي لم تختر محاورا .ولم يكن لغاية تواصلية، وإنّما كان من قبيل حديث النفس، إذ تتحوّل هذه الصورة المقدّمة من مجّرد هيئة وإنجاز لغوي إلى قضية نفسية، وموقف شعوري يلّوح بوجود المنافرة، وانعكاس نقائض الذات، ثمّ إنّ قيمة التشكيل الدلالي في البيتين كانت وراء الاختيارات اللفظية وطريقة التأليف بينها في نسق ترابطي بديع ، حيث تمّ شحن التراكيب اللغوية بطاقة انفعالية رهيبة عبّرت من خلالها "هند" عن استيائها وازدرائها لزوجها "الحجاج".

أّما سماع "الحجاج" للبيتين فقد خلق ردود أفعال انفعاليةسلبية وقويّة؛ لأنّه فهم معنى الازدراء من طريق"الانتقال إلى الرمزية، وإطلاق سراح المعنى من كّل قيد متواضع عليه، إنّ سماعه لهذا الوصف كان مصادفة، فكان صدمة له، لذلك هاجت انفعالاته، وطاش عقله، وخرج غضبانا حنقا، لأنّ ما فهمه من المعنى ليس مجّرد وصفه بالبغل، بل هي ذّم مطلق، ودلالة غير محدودة للقبح، والرداءة والوضاعة؛ ولذلك تجاوز الشعر هنا التأثير الانفعالي، وهو الألم النفسي الذي تجاوز "الحجاج" إلى التأثير في سلوكه وأفعاله.

1-1-2- **المتعالي "الّرمزي":**

لعلّ ما تشكّل في هذا الحديث النفسي وما نجم عنه من فعل وانفعال حدث في صمت بطريقة غير مباشرة لم تلتق فيها أطراف الحوار، هذا التعالي ضرب من الرمزية الدلالية التي تشعر بالندم والأسى؛ لأنَّ هذه الجميلة كانت تنظر في المرآة وهي تندب حظّها من هذا الرجل الذي لم ترض عشرته والحياة معه. ولكن لِمَ كانت تحدّث نفسها بصوت عال مادام الحديث حديث نفس؟

ربما أنطقتها الحسرة والأسى لمّا رأت جمالها في المرآة، وبخلت به على الحجاج، فضيّعته على من لا يستحقّه. أّما صدمة الحجاج فتتجلى في سماعه لهذا الكلام الذي ملأ قلبه غيظا وحقدا، فانصرف وقد بيَّت عزم الطلاق، وقد يدلّ على تأثّره العميق لما سمعه من تمثيل قاسٍ، وهو التمثيل بالبغل، وهو رمز كلّ همجي قبيح لا تحسن عشرته.إنّ ما عبّرت به "هند" كان حقيقة نفسية توترها، ولكّن آليات التعبير اللسانية عندها كانت مشحونة، فلّما تلقّاها "الحجاج" بَنَى عليها فهمه ، فكان الانعكاس في مستوى الفهم، فكان هذا التمثيل الإيحائي إضافة للمعنى، فانعكس على عواطفه وسلوكه؛ لأنّ التقدير عنده زاد على "**الدلالة التعيينية**" بفضل تأويل الرمز؛ والدلالة التعيينية هي التي لا تحتاج إلى أي مجهود تأويلي.أي: يتعيّن فهم الدلالة من دون إعادة قراءة الأنساق وفق احتمالات جديدة تلزم توفر نواة دلالية أولى تشكّل منطلقا لعملية بناء هذه الاحتمالات والحدوس.(محمد بوعزّة،ص78). أي: إنّ فهمه لا يحتاج إلى أي جهد تأويلي.فالتمثيل الملزوم " هِنْدُ مُهْرَة"،والحجاج الذي تحللها "بَغْل" لزم عنها الانفعال القويّ الذي صرفه عنها، فكان الطلاق. ويزداد التعالي الأسلوبي ظهورا وغلبة في بيتين آخرين، حينما أنشدت "هند" ردّا على "الحجاج":

وما نُبَالي إذَا أرواحنَا سَلِمَتْ ... بِمَا فَقَدْنَاهُ مِنْ مَالٍ ومن نَشَبِ
فالمالُ مُكْتَسَبٌ والعِزُّ مُرْتَجَعٌ ... إذَا النُّفُوسُ وقَاهَا اللهُ مِنْ عَطَبِ

فاللغة تتكلّم، ولكنّها تقدّم إيحاء عن منجزها، وإن كان في ظاهر القول أنّ "هندا" لا تبالي بما فقدته من مجد وسلطان ومال؛ لأنّها كانت تستفزّ الحجّاج وتذكّره بمكانتها وما آل إليه الوضع الجديد، فهي تُزفّ إلى الخليفة الآن، هذا الإشعار بسلامة الروح، وعدم المبالاة بما ضيّعته من العزّ تستدلّ به على أفضلية رتبتها الجديدة، بل وتعاليها على "الحجاج"، فهي تتباهى وتتعالى في ذكر ماضيها وحاضرها. ومن ثمّ فالشعر هنا ليس للذّة والإمتاع، وإنّما تجاوز هذا الموقف الانفعالي "للتأثير في سلوك المتلقي وأفعاله"(ألفت كمال الروبي،2007، ص125)؛ لأنّ "هندا" بالغت في اللعب والمواغدة، ولعلّها بهذه المحاورة الشعرية تزيد في حدّة الصراع بينهما إلى حدود لا متناهية.

وعلى الجملة فالخطاب الشعري في مقام هذه القصة النثرية جاء لإثبات أغراض المخاطبين وتعبيراتهم، فقام على

المجاوزة اللغوية، التي يتوهّج من خلالها المخبوء من الدلالة ليزداد ثراء وتوالدا، يكشف بالتحليل، ويدرك بالتأويل.

1-2- الخطاب السردي:

إذا كان الخطاب الشعري يضمن الدلالة الإيحائية، بفضل مؤثراته الإيقاعية ، ودفقاته الشعورية، واللغة الرمزية والاستعارية التي تكفل العدول في الكلام، وتجعل الكلام حمّال أوجه، فإنّ الخطاب السردي ليس مجرّد تقرير

للأحداث ، فقد يكون رهنا لكَوْنٍ من نظام العلامات الذي يحتاج إلى فهم وتأويل.

1-2-1- الذخيرة التناصية:

تمثّل هذه الذخيرة المخزون الفكري والثقافي، وكلّ الأنساق الدلالية والسيميائية التي تجعل المتلقي يفهم تلك التواضعات والمراجع والتي تكفل له التواصل والتفاعل مع "**الذخيرة التناصية**" (أمبرتو إيكو،2005، ص187-188)، ولذلك يتكفّل السياق النفسي بدمج الطاقة النفسية والذهنية لفهم المقصود من الكلام فكانت ردّة

المنارة للاستشارات

فعل "الحجاج" عنيفة بسماع ما عيّرته به "هند"، فمقولة "الحجاج": "**كنت فبنت**"، تجمع بين الماضي والحاضر، وبين الكينونة والبينونة، وهو نتيجة لما رأى وسمع، هذا التقابل الرمزي الإيحائي يجمع بين أمرين للدلالة على نقض الميثاق بينهما، "فكنت" بمعنى كنت زوجة، و"بِنْت" بمعنى صرت طالقا، هذا التمثّل الدلالي يجبرنا على فهم "**دلالة الاستعمال النصّي**"؛ لتحقيق موقف شخصي يرّد به الاعتبار لنفسه كما كان يتصوّر. إلاّ أنّ البلاغ كان بشارة لهند ولمْ يحزنها، ويظهر ذلك في التقابل الخطابي من قولها: "**إنَّا والله كنَّا فما حمدنا، وبِنَّا فما ندمنا**". ويكُمن النسق التفاعلي للدلالة في هذه العبارة في رمزية الرّد وهذا يعني أنّ "هندا" كانت تفهم ذلك السنن المتواضع عليه في العرف الاجتماعي والديني، وأنّها كانت ضمن النسق المعرفي الذي خوّل لها الجمع بين التقابلات بطريقة تجعل الكلام جديرا بالنظر والفهم، فهي تناظر "الحجاج" وتحاججه في قوله، إنّ ذلك الماضي الذي كان أسرا لها ووبالا عليها، ولم يكن محمودا، وأنّ الحاضر أصبح حريّة لها وجنّة تحتمي بظلالها.

1-2-2-أسئلة الفهم الرمزي في الذخيرة التناصية:

يندمج هذا الشكل الخطابي الرمزي الموجز داخل منظومة عامة للعمليات المعرفية التي تحقّق الفهم، وهي منظومة

تسمح بالإحاطة بكّل الحقول المعرفية التي تدور في فلك الفن الشامل للقول الذي تحدّد طبيعة السؤال المعرفي

والإدراكي والذهني الذي يتطلّب تعميق النظر، وإطالة التدبّر فيما نسأل، أي أنّ العلم المعرفي يبدأ من المستوى المعرفي الذي يتعلّق بالمعطيات الداخلية المتعلّقة بالذاكرة الخلفية والخارجية(السياقات والمقامات والظروف العامة للقول)، ثمَّ يتحوّل إلى المستوى الإدراكي، حيث تكون الاستجابة الأولى للتصوّر المعرفي، وهي المرحلة التي تقود إلى المستوى الذهني ، حيث استقبال المعلومات وتخزينها، وكّل ما هو قابل للفهم الحرفي لأشكال اللسانية حيث يتّم التأويل في إطار استقرائي عبر منطق القول والسياق ،

المنارة للاستشارات

ويتكفّل الشكل المعرفي بالتأويل التداولي للقول، بغرض تحقيق التأويل الكامل.(عبد السلام عشير، ص25-32)ومن ثمّ نتمثّل إجاباته في الآتي:

أ – سؤال المعرفة:

كيف يعرف الإنسان ما يعرف؟ هذا الذي يتحقق الحالات العارفة، "فهند" لمّا استقبلت كلام "الحجاج" : "كنت فبنت" فقد عرفت مصدره وتأويله، أي كانت لها معرفة عن حقائق كانت موجودة، ودخلت معها مباشرة في تفاعل من طريق حدسها للعلاقات بين الموضوعات، فأجابت: "كنّا فما حمدنا وبنّا فما ندمنا" وهذا هو الدليل المعرفي الذي يؤكّد اندماج "هند" ضمن الإيديولوجية التواضعية، والمرجعية التاريخية التي يحيل إليها الكلام الذي اقتطع من كلام معاوية بن أبي سفيان حينما طلّق زوجه ميسون ابنة بحدل، فقال لها : "كنت فبنت" فأجابته: "ما سررنا إذ كنّا، ولا أسفنا إذ بنّا" (علي محمد محمد الصلابي،2008، ص27).ومن ثمّ أمكن "هند" فهم الإهانة التي قصدها "الحجاج"، وقد ساعدها في ذلك تلك المحصّلات والمكتسبات التي استدعاها مقام الكلام ، فما أشبه هذه بتلك !

ب– سؤال الإدراك:

كيف يدرك الإنسان ما يعرف؟ أي ما البنيات والعمليات التي تجعلنا ندرك ما عرفناه؟ استطاعت "هند" أن تجعل هذه المعرفة في متناولنا من خلال تكوينها الأدبي والاجتماعي والتاريخي، فقد كانت الذاكرة عونا لها لاستحضار النص الغائب المنزاح، ولفضحها النص الحال المقتطع من حديث "معاوية بن أبي سفيان". هذه البنية الأولية المسبقة خلقت في المقام الراهن أشكالا رمزية تحسيسية، تستنبط بفضلها المقاصد الدلالية القائمة في الذهن، فإن كان "الحجاج" ينهل من ذلك المورد، فإنّ "هندا" تعلم محاله ومصدره، وهذا أيضا إرباك للحجاج لأنّ مقصد الإهانة عنده فشل بتحقّق علمه عند "هند".

جـ– سؤال الذهن:

المنارة للاستشارات

كيف يتحقّق الإدراك داخل الذهن؟ أي كيف يشتغل الذهن؟ يتحقّق إدراك المعنى أو الدلالة بمدى فاعلية الإدراك والفهم، والقدرة على الإحاطة بالمحتويات وترتيبها واستنتاج المقاصد العامة لمضمون الخطاب، إذ تعمل آلة القياس على جعل الفهم ينبثق من خلال الاستقراء، فتكون نتائجه استنباطية، كأن تقوم على استدلالات تفضي بمنطقية الوصول إلى المعنى المرجّو في عملية التأويل، وهو ما توصلت إليه "هند" عندما علمت أنّ معاوية الزوج لم يكن مرغوبا فيه على الرغم من النعيم الذي كانت تعيشه "ميسون" ، فقد دخل عليها يوما فسمعها تترنم في خدرها فأنصت إليها فإذا هي تقول :

لبيْتٌ تخفق الأرواح فيه أحب إّلي من قصر منيف
وبكر يتبع الأظعان شقبا أحب إّلي من بغل زفوف
وكلب ينبح الطّراق عّني أحب إّلي من قط أليف
ولبس عباءة وتقّر عيني أحب إّلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي أحب إّلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح في كل فّج أحب إّلي من نقر الدفوف
وخرق من بني عمي نحيف أحب إّلي من علج عنيف

فلما سمع "معاوية" ذلك منها قال : ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً، ثمّ طلّقها وأمر لها أن تأخذ كّل ما في القصر(المرجع السابق، ص27). وهو الأمر الذي ينطبق على "الحجاج" نفسه، فقد كانت "هند" تبغضه وتزدريه، فلّما سمع منها تلك الإهانات طلّقها لرّد الإهانة بمثلها أو أكثر منها ، إلاّ أنَّ "هندا" استعانت بدهاء "ميسون" وجرأتها، وفصاحتها، وشجاعتها لرّد الاعتبار إلى نفسها وإغاظة "الحجاج".

1-3- الحديث الشريف:

نلامس جزئياته من **آلية الاقتطاع** وليس باعتباره نصا من الكتاب أو السنة، وهو ما نسّميه – في الغالب بالتناص – أو ما نصطلح عليه "**بالاستعمال النصي**"،

المنارة للاستشارات

ويكون لموقف أو غاية محدّدة. **فقول هند: "اعلم أمير المؤمنين أنَّ الإناء ولغ فيه الكلب"**. اقتطاع من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن أو أولاهن بالتراب". وسبب الغسل نجاسة لعاب الكلب. وهي نجاسة مغلّظة، وإنّما قالت:" الإناء ولغ فيه الكلب"، وهي تقصد "الحجاج". ولكنّها تقصده لمعنى لا لذاته، هذا المثال يوحي بأنّ "هندا" شخصية عارفة وفاهمة، تعدل عن أصل اللغة وتمتص مقصودها من معرفتها الدينية، وهو السياق المعرفي الذي يساعد المتلقي على إدراك الدلالات بفضل انخراطه في تلك الذخيرة المرجعية ، كما يساعده وعيه على التموقع الجيّد لتمثّل المقصود من الدلالة، أو التكيّف مع محتواها الاحتمالي المهيمن. هذه الإحالة إلى النص الغائب تنشأ فضاء جديدا فكّرت فيه لتهين "الحجاج" ؛ لأنّ تمثلاتها الداخلية كانت وراء كثافة الإيحاء وتقلّص التصريح، والبعد التداولي – ههنا – يلزمنا بمعرفة ما الذي تريده "هند" لا ما تعبّر عنه ، فهو ليس مجّرد انفعال لموقف شخصي أو نفسي، بل يتعدّاه إلى تعرية الآخر وتبيين حقيقته، وإظهار الملامح "الدنيا" للدلالة على النموذج الحيواني في صورته المقزّزة. والذي يواجهه المتلقّي هو "القدرة الموسوعية التي يتضّمنها النّص، وهي مخزون ضمني يفترضه النّص ضمنيا ويعصرنه القارئ"(فيرناند هالين وآخرون، 1998، ص50). فمرجعية الرمز اقتطعت من نص الحديث لاستعماله في الموقف الشخصي، وهو تمثيل قياسي جرى بعد تخليص النص الأصلي من هوامش الوحي، فأصبح مدلول "الكلب" الذي كان في أصل الوضع حقيقة مجازا .

المنارة للاستشارات

1-3-1-الأفق الترميزي في التناص:

تبين اللغة الرمزية قدرتها على التشكيل والتعبير والإيحاء، فهي نظام من العلامات الدالة التي تنمو وتتطوّر وتتفاعل، وتتجاوز المكتوب والملفوظ لتشمل الصور والهيئات والأحوال والإشارات، والعلامات التي تدخل في

شبكات من العلاقات العائمة المكّونة للنظام السيميائي. فقد فهِم الخليفة القصد من الكلام، هذا الطابع التأويلي يدلّ على دخوله في السنن المعرفي ، وأن ذاته المفكّرة ترجمت الرمز وفكّكته وبلغت الفهم ، وتمثّلت الصورة، وفهمت المراد، وأدركت أنّ مقالة "هند" مبالغة وتهويل للموضوع، ولكنّه حاول تطويعها وإقناعها بالزواج، فقال لها: **إذْا ولغ الكلب في إناء أحدكم فلْيغْسله سْبعًا، إحداهنَّ بالتراب، فاغسلي الإناء يحلّ الاستعمال**"، وفي ذلك عدّة دلالات، فالخطاب يتقاطع مع نصوص السنّة النبوية الشريفة التي تقول بغسل الإناء سبعا آخرها بالتراب إذا ولغ فيها الكلب، يوحي هذا التناص بعلم الخليفة وفقهه، وسرعة بديهته، والثاني إصراره على خطبة المرأة على الرغم من دعواها ، ثمّ إنّه لم ير "الحجاج" كلبا –كما وصفته "هند"- وفي ذلك معرفة بطبع النساء التي لا حدود لها.إنّ النصّ الحاضر المقتطع من الحديث هو عدول واضح بالنسبة إلى النص الغائب الأصلي الذي هو معيار له ، تجّمعت من خلاله الدلالات حقيقة ومجازا وتكاثفت وأفاضت المعنى التي ستكشف عن مكائد "هند" المدبّرة ونقمها المحضّرة. ثمّ إنّ الحوار الذي جرى بين "هند" والخليفة أقنع "عبد الملك بن مروان" بأن هذه المرأة جريئة، أديبة فصيحة، قادرة على الحِجاج والمجادلة. فازداد شغفه بها. فإذا اندفعنا نحو هذه الحقيقة انطلاقا من المعطيات خارج نصية ، فالثقافي الدلالي يقودنا خارج النص لنتمثّل موقفا نستدلّ به على رجاحة عقلها، قيل إنّها قدمت يوما على الخليفة "عمر بن عبد العزيز"، وكان قد حَبسَ أخاها "يزيد" ، فقالت: يا أمير المؤمنين لمَ حبسته؟ فأجابها: تخّوفت أن يشقّ عصا

المنارة للاستشارات

المسلمين. فقالت له : فالعقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟ فكان ذلك معيارا لرجاحة عقلها وفقهها. وقد قيل أنّها حدَّثتْ عن أبيها – أحد رواة

الحديث– كما حدّثت عن الحسن البصري وغيره(منصور عبد الحكيم، 2012، ص138). وهو من التمثّل المعرفي لدى "هند" وقّوة حجّتها.

التمفصل الرابع: الدلالة بين الفهم والوهم:

إنّها المرحلة الفن والواقعية، ونهاية الصراع عبر الأنموذج الرمزي المعّمى، نوضّح عبر المفاصل الجزئية الآتية:

1-**التقبّل الدلالي بين المتعة الفنية والحقيقة النفسية:**

يرتبط هذا المعنى بطرفين مهّمين في تلّقي خطاب، وهما المتلّقي والمتحاورون، وهنا تتجلّى القيمة الإبداعية للمتخاطبين نتيجة لمقدرتهم التخاطبية الفّعالة، ولكنّها قد تكون خالية من المتعة، ويجلب عليها الجانب الحسّي والشعوري؛ لأنّ التخاطب في هذه المرحلة يعّبر عن الواقع، فالموقف بين "هند" و"الحجاج" في هذا الخطاب مشحون بالانفعالات السلبية المتضادة، ومن ثمَّ لا نتصور أن الخطاب ينشأ للمتعة، وإنّما ينجز للإبانة عّما في النفس وما يجيش في الصدر. أمَّا المتلّقي الذي يحظى بالمتعة الفنيّة فهو الذي يقرأ أو يسمع، ولا يعيش الموقف النفسي كما عاشه صانعه، وإنّما يعيش التجربة بنظرة أخرى: قراءة، أو نقدا، أو تأويلا، وهنا يتوغّل في ثنايا الخطاب ليتأّول العوامل، ويحلّل العناصر بغية الوصول إلى مقاصد تداولية وحجاجيّة دقيقة وأكثر إقناعا لهذا التجربة. ففي الوقت الذي كان فيه "الحجاج" في ضيق وفي حرج، كان "عبد الملك بن مروان" في غاية الانشراح والانبساط مما تقوله "هند"؛ لأنّه كان معزولا عن تلك الصراعات النفسية الحرجة، فالخطاب إذن يجمع بين بعدين متقابلين: **حقيقة نفسية** قد تكون حرجة لحظة حدوث الفعل، وبين **متعة فنية** تريح المتلقي بعد سماع الحدث.

المنارة للاستشارات

إنّ المتعة الفنيّة التي يحقّقها الأثر الأدبي غير مطابقة للواقع، ولعلّ هذا ما يثبته التأويل الفعّال لكثير من الآثار الأدبية وغيرها؛ لأنّ الحقيقة النفسية –كما في هذا النص– عند "هند" أو "الحجاج" تثبت أنّ بينهما تنافرا واضحا، وأنّ هذا التنافر يغذّيه شيء من الحقد و التمرّد، فكانت النتيجة الطلاق بينهما. فما قالته "هند" يهزّ النفس ويطرب العقل لفصاحتها ومقدرتها اللغوية والتعبيرية، ولكنّه مع ذلك ينبأ بواقع مرير كانت تعيشه لم تكن لترضاه، بل تتأسف لحدوثه، وما فعله "الحجاج" هو ردّة فعل لذلك الإنكار والجحود، وهو تألّم نفسي وإساءة اعتملت في نفسه، ولا نتصوّر أنّه يُفصح للمتعة، إنّما يقول ليبين وتظهر معه القيمة التعبيرية ومنتهى الخطاب.

2- **تجلّيات الرمزيّ في شخص الحجّاج:**

ليس "الحجاج" رمزا، وإنّما يتجلّى فيه التمثيل الرمزيّ حينما تقاس عليه التجربة، فهو في صورة من الصور التي شكّلتها "هند"، **وهي صورة نقلية مستقرأة نصيا**، فقد أنزلته في صور تمثيلية تواضعية متعدّدة: صورة الكلب، وصورة الجّمال، وصورة الدرهم. فقد أرادت أن تخرجه على هذه الهيئات ليتمثّل لها شكلا تعبيريا توفّى به أصول المقاصد في الدلالة.هذا الامتصاص جعل على عدّة تماثيل هي التي شكّلت النظام التشفيري الرهيب الذي يؤشر باستقصاء دلالة التعرية، فهند تريد أن تجّرد الحجاج من إنسانيته وتصوّره في هيئة موحشة متوحّشة، لذلك أصبح

"مستهدفا للذمّ "(رشيد الإدريسي، 2010، ص361)، وهو شفرة الانتقام المحتوم الذي تنشده هند.

أ – الكلب الرمزي: بني هذا الرمزيّ ليوحي "بفكرة أو شعور ما"(محمد فتوح أحمد ، 1977، ص209) ، وهو قائم على أساس التشابه الحسّي ، إذ غلب على الكلام الطابع الرمزي الذي يتستر من ورائه المراد من المعنى لغاية

بيانية تبيينية، وللتعبير عن الموقف النفسي الراهن ، وعن التجربة الشعورية الواقعية. فالكلب الرمزي هنا كلبان:

المنارة للاستشارات

- كلب بني ثقيف ويستدلّ به على انحطاط رتبته في قومه، وهو مذّمة القوم كلّهم.
- والكلب الوالغ في الإناء الكامن في "الذخيرة التناصية".

سكتت "هند" عن النطق باسم الحجاج ورمزت إليه بلفظ "**الكلب**" وفي ذلك دلالات غير متناهية أكثرها هينة : دلالة الاحتقار، والتدني ، والضّعة. فقد حاولت "هند" أن تتمادى في إذلالها للحجاج؛ لتبيّن له أنّه لم يكن إنسانا محمودا. فهي التي تريد تجريده من كلّ شيء كما جاء أوّل مّرة حافيا عاريا قبل أن يلبس شملة السلطان والإمارة. ويمكننا في هذا الموقف أن ننتزع موقفا نفسيا رهيبا يتميز بالتقابل والتباين، موقف تهبّ فيه نسمات الارتياح والاطمئنان والسرور، بسماع خبر طلاقها، ومشاعر مقابلة لها تتأجّج فيها نيران الغيظ، والغضب، والاستياء.

ب – الجمّال الرمزي: تحّولت وظيفة الحّجاج إلى "جمّال" ؛ لأنها مرهونة بشرط الخطبة، هذا التحّول الدلالي حصل عبر العلاقات النصيّة ويتجلّى في أسلوب النداء، الذي عدل عن المألوف، واختصّ بنداء "الحّجاج الجّمال" ، لا الحّجاج الزوج أو الأمير، وهو نداء رمزي خُصَّ بدلالات جديدة، تشير إلى تحّول الوقائع ، هذه العلامة السيميائية صنعتها "هند" واختارتها لتمَثُّلٍ رمزي يتحقّق عبره المدلول الثقافي والمعرفي؛ لأنها استوحته من الذاكرة، "هذا التأويل يقبل بدوره تأويلا جديدا"(أمبرتو إيكو ، ص188)، كأن تفهم مثلا النداء المتعالي، هذا الخطاب يكشف عن صورة مؤثرة "هند" التي تزفّ في الحلل والحلل، و"الحّجاج" العاري الحافي الذي يقود زمام الجمل، إنّها بالنسبة إلينا "**تناص**"؛ لأنّ تحليل المعنى يلزمنا بتفكيك شفرات السنن المعقودة وحلّها لكشف ضروب السّر في فهم عزيمة الانتقام التي توحي بوجود صراعات قديمة بين "الحجاج" و"هند".

ج – الدرهم الرمزّي: جعلت هند من الحجاج معدنا رخيصا أمام رفعة الدينار وهو الخليفة، هذه القيمة الدلالية المحصّلة ليست مجّرد الانفتاح على عالم التقابلات، بل إنّ

المنارة للاستشارات

الرمز هنا أصبح من المرجعيات التي "تنشّط وتكثّف وتوسّع أداة الإدراك لدى المؤوّل إلى أقصى حدّ ممكن"(محمود خليف خضير الحياني، 2013، ص170)، وهو ما يجعل الفكر التأويلي يراقب هذه التمثيلات المشفّرة، لاستنطاق الحقيقة المتوارية في صلب الخطاب. تتجلّى دلالة القيمة؛ فالمفاضلة كانت واعية ومدبّرة، بل اختيار قصدي وُمعمَّى في الوقت نفسه، اتّخذته المرأة سلاحا للانتقام، هذه الوسيلة الرمزية القيميّة تثبت ذكاء "هند" وحسن قياسها، وقوّة الربط بين الأشياء. إن سكوت "هند" عن التعبير عن الواقعي يفتح آفاقا جديدة للمتلقي؛ لتمثّل المقصدية أو التكيّف معها، ثمّ إنّ الدلالة المكيفة تتعارض مع الأصل أي مع قصد المؤلّف، فكلام المخاطِب حقيقة، و المعنى الذي يصل إليه المتلقي ضرب من الفهم والتأويل سواء أكان هذا المعنى صحيحا أم فاسدا، ولكنّه مع ذلك يحاول أن يتكيّف معه قدر الإمكان لفهم حدود معانيه، وإن تجاوز إلى حدود تأويلية مغرقة في الفلسفة والإبداع، وهو ما حدث مع "هند" في هذا الموضع لمّا جعلت من الحجّاج الجمال الرمز المعّمى الذي سيأتي تبيينه في العنصر الموالي (التعمية أو التشفير الدلالي). هذا ما كان في وصف هند التي رسمت الحجاج رسما عبثيا ساخرا، ولكن القراءة التأويلية للخطاب تثبت أنّ "هندا" على الرغم من مكرها ومكائدها فإنّ شخص "الحجاج" لا يخلو من قيمة، فهو رجل صعب المراس، بعيد الرأي. **فصورة "الحجاج" بالاستنباط والاستدلال العقلي** تجعله رمزا لكثير من التماثيل، فهو مثال الرجل الشهم الذي لا يقبل الذلّ ، وآية ذلك أنّه لمّا سمع "هندا" تهينه وهي لم تره ولم تحسّ بوجوده، وعلى الرغم من ذلك طلّقها؛ لأنّه كان بالإمكان التستّر على الأمر، ولكنّه عزم على الأمر فطلّقها وطلّق الجَمال معها. و هو الأديب الفصيح، يحسن القول والشعر، ويختار الكلام، ويوجز في القول، وعلى الرغم من قلّة كلامه في القصّة فهو يظهر طرفا فاعلا فيها، وهو واسع الثقافة، ساعده علمه "بتفسير القرآن، ورواية الحديث، وحفظ أشعار العرب وأيّامهم"(محمود زيادة، 1997، ص34)، ويظهر ذلك في قوله : "كنت فبنت" وقد ذكرنا تحليله. وهو

المنارة للاستشارات

رمز الرجل الموهوب المولع بالحرب والسياسة على غرار بعض القّواد، فبلغ مراده ومراتبهم(المرجع نفسه، 1997، ص27). ودليل ذلك ما اشترطت به "هند" لخطبتها أن يكون "الحجاج" عاريا حافيا في حلّته الأولى، أي: كما جاء بلا جاه ولا سلطان.

هذا المظهر الحّسي المعّبر به بالنشاط التخييلي بالارتداد إلى الماضي جُعل لتعرية الأمير " الحجاج" من عّزه وسلطانه، وفي ذلك إهانة وانتقام منه.أّما استدراجه فقد تمّ بأمر الخليفة، أي: إنّه كان مجبرا، ولولا ذلك الأمر لما أمكنها الاحتيال عليه.

رابعا– التعمية (التشفير الدلالي):

يتحّول التجاوز اللغوي والسلوكي من حيلة دلالية تصورية إلى حلية لغوية وأسلوبية، وذلك حينما يدخل الكلام في الوهم، فيعمي صاحبه عن الحقيقة، ويفهمه خلاف الأمر عندما يوظّف الأشياء توظيفا وهميا. فقد أصبحت "هند" تربك الحجاج كثيرا، وتقود المتلقي من موضع إلى موضع آخر من التهوين والانتقام والسخرية.

والتعمية " تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم بطريقة محّددة يستطيع مَنْ يعرفها أن يعود ويفهم النص"(محمد مراياتي وآخرون، 1996، ص28)، أو أن يسلك المتكلّم في كلامه التحويل والتشفير، فيعدل عن أصل التواضع في اللغة، فيرمز بها لإيقاع متحاوريه في الوهم، أو المغالطة في فهم المقصود. وهو ما اعتمدته "هند" في المحاورة بينها وبين "الجّمال" – الحّجاج– ّ ا استعانت بفاعلية "**الهدم والبناء**"، فقد طلبت من الجمال أن يرفع لها الدينار الذي أسقطته– قصدية الفعل– فهي بذلك هدمت الصورة الفعلية للدّينار وحّولته إلى درهم، وهو تحويل بالاّدعاء – **وهمي** – وليس حقيقيا، فبنت الصورة الجديدة التي خالفت **المدرك الدلالي** عند "الحجاج". هذه المتغيرات كانت بداية حقيقية للتشفير الدلالي الذي أشكل على فهم الحجاج وجعله صّوب الصورة كما اعتقد بفهمه لها، خاصة لما ّ ا عمدت "هند" إلى تغيير المسّميات والأفعال" وتبديلها لإطلاق المعّمى وفرضه على ردود أفعال "الحّجاج"، وبه يحدث الفرق؛ لأنّه لما ّ ا التقط الدرهم المزعوم وجده دينارا، فأجاب بما أفضى إليه فهمه

المنارة للاستشارات

وإدراكه على أنّه دينار، وبذلك تمكّنت "هند" منه وهي تعلم أنّه ليس ساذجا في فكره وإدراكه وفطنته، وإنّما تمكّنت من استدراجه والإيقاع به في مكيدة معّماة وفي غاية الخطورة. وقد أفضى هذا الحوار في الأخير إلى نقطة تحّول مهمة في الخطاب، وهو ما كانت تنسجه "هند" بحيلَتِها المدبرة وحِلْيَتِها اللغوية للوصول إلى مرادها، فآن لها أن **تُكسر المشفّر** في الأخير، وحّل المعّمى، وتجلّى ذلك في قولها: " الحمد لله سقط منَّا درهم، فعوَّضنا الله دينارا"، وهي لحظة حرجة يتحّول فيها الكلام المعّمى إلى كلام واضح، تمّ بفعل كسر التشفير(المرجع نفسه، ص31). وتفكيك المرموز، وتبدّد الوهم.

هذه اللحظة التي فهم فيها الحجاج سّر هذا الأسلوب، فتوصّل إلى فهم ما تقصد "هند"، فهي لا تريد إلاّ إذلاله وتعريته من شملته التي كان عليها من قبل، هنا يتحدّد مفهوم **القيمة**، حيث التحّول إلى الرمزيّ، فالدينار أرفع قيمة من الدرهم، وعليه يحدث **التماس الدلالي**، فهي تجمع بين الحجاج الجّمال في رمز الدرهم مع عبد الملك بن مروان الخليفة، فقد طلّقت من الأّول وعّضها الله بالثاني وهو عندها أرفع من الأّول ّ ا استقّر الفهم عند "الحجاج" لم يردَّ كلاما، وفي ذلك انتهاء للعبة خسر فيها "الحجاج"، وكان من وراء قصدها أشياء أخرى كالتباهي، والتعالي الذي يوحي بالانتقام والتشفّي.

المنارة للاستشارات

خاتمة:

على العموم التأويل النصّي يتجاوز المعطيات النصية إلى معطيات أخرى خارج نصيّة أكثر سعة وشمولا ضمن الذخيرة التناصية التي توفّر وظائف جديدة للتحكّم في المتغيّرات الدلالية.ومن ثمَّ نشأ الاهتمام بمقاصد المتحاورين في القصّة لا لفهم ما قالوه فحسب، بل لفهم ما أرادوا التعبير عنه. فقد شكّل **"الرمزيّ"** انفتاحا دلاليا بين النصّ وقارئه، ومن ثمّ تحرير الكثير من المعاني المشفّرة بفضل القرائن السياقية والقابلية التأويلية. إنّ طبيعة التواصل الإنساني حقيقة أو مجازا، صراحة أو إيهاما، لا تتأتّى إلا بتوحّد المراجع العرفانية والسيمائية؛ لأنّ بلوغ الدلالة مسألة نسبية، وتأويلها مهمّة معقّدة، فقد يكون الخطاب انفعاليا؛ لأنَّ المحتوى العاطفي هو الذي يوجّه التكوين الدلالي وبقيّة التشكيلات. وبالتالي تمنح للخطابات مستويات متفاوتة القيمة فما يقصده المتكلّم قد يقع في أفق توقّع المتلقي، وقد لا يقع بمعنى قد يتجاوزه. أما محلّل الخطاب فيمثّل ويتمثّل بفضل التكاثف الدلالي الذي غالبا ما يكون حمّال أوجه فيحمّل القول طاقات إضافية ويوجّهه الأكثر قبولا وإقناعا للتلقي والاستقبال.

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر والمراجع:

أ – المصدر:

1- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد)، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، تح: مصطفى محّمد الذّهبي، دار الحديث، القاهرة،2003.

ب– المراجع:

2- أحمد محمد معتوق، اللغة العليا، : دراسات نقدية في لغة الشعر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.
3- ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، من الكندي حتّى ابن رشد، دار التنوير، بيروت،.2007
4-أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: لبنان، ط1، 2005.
5-رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل: الحريري بين العبارة والإشارة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، .2010
6 – سعيد جبار، التخييل وبناء الأنساق الدلالية: نحو مقاربة تداولية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013.
7- الأبشيهي، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، تح: مصطفى محّمد الذّهبي، دار الحديث، القاهرة،2003.
8- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
9- علي محمد محمد الصلابي، معاوية بن أبي سفيان: شخصيته وعصره، دار الأندلس الجديد، مصر، ط1، 2008.
10- عمارة ناصر، اللغة والتأويل: مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، الدار العربية للكتاب- ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر – دار الفارابي، لبنان، ط1، 2007.
11- محمد باّري، نظرية التأويل التقابلي، مقدّمات المعرفة بديلة بالنص والخطاب، دار الأمان الرباط – منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
12- محمد بوعزّة، إستراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، الرباط- منشورات الاختلاف- الجزائر، ط1، 2011.
13- محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة: مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2007.
14- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف، 1977.
15- محمد مراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعّمى عند العرب: دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن علان وابن الدريهم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1996.
16- محمود خليف خضير الحياني، ما ورائية التأويل الغربي: الأصول المناهج المفاهيم، دار الأمان:المغرب- الاختلاف: الجزائر، ط1، 2013.

المنارة للاستشارات

17- محمود زيادة، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام ، القاهرة، ط1، 1997.
18منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أميّة، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، 2012.
19- فيرناند هالين وآخرون، بحوث في القراءة والتلقي، تر: محمد خير البقاعي، مركز الانتماء الحضاري، حلب، 1998.

المنارة للاستشارات